# الفكرة والأسلوب في شعر توحيد القصد والطلب عند الصحابة رضي الله عنهم

## دراسة أدبية

الباحث

**د. جابر بن بشير المحمدي**

كلية اللغة العربية

قسم الأدب والبلاغة

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

العام الجامعي ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ،

فيهدف هذا البحث إلى قراءة شـــعر القصد والطلب ( توحيد الألوهية ) وكشف العلاقة بين الشاعر الصحابي وبين معتقده الجديد الذي عاشه في عهد النبوة والخلافة الراشدة ، وامتزج بروحه وجسده وعبر عنه في شعره وأدبه .

والشعر وسيلة من وسائل الأدب ، وأداة من أدوات التعبير الصادقة عن الحياة ، ومدى انتماء الأديب إليها ، إيماناً والتزاماً بمبادئ مجتمعة ، وقيمه العقدية ، والفكرية ، والاجتماعية .

وقد واكب الشعر الدعوة في صدر الدولة الإسلامية في مهدها ، وناصرها في الجهاد ضد الكفر والشرك ، وجاهد الشاعر باللسان كما خاض المعارك بالسلاح ، وأيد بشعره المجاهدين بسيوفهم ، وسخر بيانه لنشر مبادئ دينه الجديد ، يصف به إيمانه ويفخر من خلاله بما وهب من الهداية والإيمان ويصف مشاعره تجاه ربه ونبيه ودينه . وأخذ يناجي إلهه بما اكتسبه من معاني الدين الجديد في جانب التوحيد ، وقيم الشرع الإسلامي.

وتزخر دواوين الشعراء في صدر الإسلام بالشعر الملتزم والعاطفة الإسلامية الجياشة ، والروح الإسلامية المنطلقة من إسار الشرك ، وتحولت إلى نص أدبي، بث فيه الشعراء ألحانهم الشجية ، وعواطفهم الصادقة تجاه إلههم ونبيهم المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، واعتزازهم وفخرهم بدينهم الجديد ، مستلهمين معاني القرآن الكريم وما رفدتهم به أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما امتلأت به قلوبهم من قيم الإسلام ، ومكارم الأخلاق التي صقلها

الشرع القويم.

ونجد الشاعر المسلم يصور في إبداعه سعادته بدينه، ويعلن من خـــلاله التزامه به ، وما يمارسه من الشعائر ، ورضاه بقضاء الله ، وتلذذه بما أمده به الشرع الإسلامي من قيم أصبحت مصدر فخره ، جعلته ينعى على المشركين مذهبهم الباطل ، داعياً أهله وعشيرته إلى الدخول في الإسلام ، ويغريهم ببلاغته وفنه باللحوق بالركب لينالوا خيري الدنيا والآخرة .

وجانب التوحيد وحماه أعظم ما اهتم به شعراء صدر الأول من الصحابة في عهد النبوة والخلافة الراشدة ، وكثر شعرهم في ذلك ، ولكن طبيعة هذا الشعر وما ظهر عليه من التقرير الخطابي وضعف مادة الخيال فيه صرفت أنظار الباحثين عنه ، متسلحين بمقولات نقدية تحتاج إلى كثير من المراجعة والتدقيق لمخالفتها واقع الشعر في صدر الإسلام . فهذا الفن الشعري في هذا العصر وإن لم يحلق في الخيال ، ولم تظهر فيه الأغراض الشعرية التي شغلت حيزا كبيرا في الشعر الجاهلي، واختلفت طبيعته عـن سابقه في الجاهلية لغة وصورة ، وبناء، فإنه مادة صالحة للدراسة، وتتطلب من الدارسين العودة إلى دواوين الشعراء، ومادة الشعر لدراسته وتحليله، ومنحه قدره في المستوى الشعري عند العرب، فالشعراء المبدعون في هذه الحقبة من تاريخ الإسلام هم الشعراء في الجاهلية ومن المخضرمين بعد الإسلام ، بل هم بعض من فحول الشعر قبل الإسلام كحسان بن ثابت رضي الله عنه وهذا ما ينفي شبهة الضعف أو التأخير أو اختلاف مستوى الشعر في عصر صدر الإسلام ، وفي باب العقيدة خاصة.

وكل ذلك كان باعثاً على دراسة شعر توحيد الألوهية عند الرعيل

الأول من شعراء الإسلام لنقف على نتاجهم الشعري الذي التزموا فيه الوجهة الصحيحة الصادقة في الدعوة إلى الله ، وترسيخ قيم الإسلام ، لتلقى الدراسة الضوء على مضامين شعر توحيد القصد والطلب عند الصحابة رضوان الله عليهم ، ومسائل التشكيل الفني بما تسمع به مساحة العمل في هذا البحث .

وختمت البحث بخلاصة موجزة عن البحث وما بدا لي فيه من خواطر أرجو أن تكون نافعة في العمل الأدبي ، علّها تفتح آفاقا جديدة للبحث في أدب صدر الإسلام للإسهام في هذا الجانب المهم من أدب الدعوة الإسلامية.

ولا أدعي أنني قدمت كل ما يجب أن يقدم في هذا الغرض الشعري السامي، ولكنني أرجو أن أكون قد وفقت في وصف هذا الإبداع الشعري الذي أبرز إسهام الصحابة من خلال أشعارهم في نصرة الإسلام ، والتزام الشاعر المسلم بقضايا أمته ودينه.

والله أسأل أن ينفعنا به يوم لا ينفع مال ولا بنون ، وأن يجزي كل من أمدني بمعلومة ، أو ساعدني في بحث مسألة، أو أرشدني إلى مصدر من مصادر البحث، أو أيدني بتشجيعه وأن يكتب لنا جميعا التوفيق والسداد في الأمور كلها.

## المبحث الأول: الفكرة والمضامين

يعد شعراء رسول الله – صلى الله عليه وسلم- من فحول الشعراء، كحسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وكعب بن زهير، وغيرهم -رضي الله عنهم- ولبعضهم دواوين من الشعر مطبوعة، ولآخرين منهم شعر حوته كتب الأدب، و كتب التاريخ والسير، سوى ما روي في بعض كتب السنة .

وقد تجلى لنا في أشعارهم ما تكنه صدورهم من الإيمان الصادق بربهم، والحرص على اتباع سنّة نبيّه - صلى الله عليه وسلم- ومن آثار هذا الإيمان: توحيد الألوهية المتمثل في أنواع عديدة من الطاعات، كالاعتقاد الجازم بأن الله سبحانه وتعالى هو المستحق للعبادة دون سواه، والانشغال بذكر الله وقراءة القرآن الكريم، والدفاع عن النبي – صلى الله عليه وسلم- بالنفس واللسان، والرغبة في نيل الشهادة في سبيل الله وحمد الله وشكره على نعمه، وغير ذلك من معاني العبادات التي وردت في أشعارهم –رضي الله عنهم- وسنقف عندها فيما يلي:

١ – الإقرار بكلمة الشهادة:

والإقرار بكلمة الشهادتين من أجلّ أنواع العبادات، بأن يقرّ الإنسان بأن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وهو عنوان الإسلام.

قال الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي: العلم لا بد فيه من إقرار القلب ومعرفته، بمعنى ما طلب منه علمه، وتمامه أن يعمل بمقتضاه. وهذا العلم الذي أمر الله به -وهو العلم بتوحيد الله-

فرض عين على كل إنسان، لا يسقط عن أحد، كائنا من كان، بل كل مضطر إلى ذلك.

قال تعالى: وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ (النحل: ٣٦).

يخبر تعالى أن حجته قامت على جميع الأمم وأنه ما من أمة متقدمة أو متأخرة إلا وبعث الله فيها رسولا، وكلهم متفقون على دعوة واحدة ودين واحد وهو عبادة الله وحده لا شريك له.

وقد أكثر منه الصحابة – رضي الله عنهم- في مناسبات مختلفة وفي شعرهم خاصة . ومن ذلك عندما جاء عبد الله بن الزبعرى -رضي الله عنه- (ت١٥هـ) من نجران، تائباً معتذراً إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم- فقال بين يدي المصطفى قصيدة رائعة في الاعتذار، ومنها:

يا رسول المليك إن لساني  راتق ما فتقتُ إذ أنا بورُ

آمن اللحم والعظامُ بما قل  ت، فنفسي الفدا وأنت النذيرُ[1]

يذكر الصحابي الجليل إقراره بالتوحيد، وأنه قد تمكن من قلبه، بل ما من موضع في سائر جسده إلا وهو مقرّ بالإسلام، وصاغ هذا المعنى في أسلوب المجاز العقلي، فأسند الفعل إلى اللحم والعظم مما يشعر بأن سائر أركانه وجوارحه شاركت اللسان والقلب في الإقرار، وهذا من كمال الإيمان.

وهذا الأسلوب البلاغي (آمن اللحم والعظم) يثير فينا التعاطف مع الشاعر في اعتذاريته بل يتضاعف هذا الإحساس فيما أسنده

---

(١) شعر عبد الله بن الزبعرى جمع د/ يحيى الجبوري ، ط٢ مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠١هـ ص ٥١

الشاعر من إيمان اللحم والعظم إلى نفسه فقال: (لحمي عظمي) في قصيدة أخرى:

فاليوم آمن بعد قسوته عظمي وآمن بعده لحمي

وبمحمد وبما يجيء به من سنة البرهان والحكم(١)

فهو آمن بالله إيمانا صادقا بكل ما جاء به المصطفى – صلى الله عليه وسلم- من تشريع وبيان. وأكد هذا الصدق في الإيمان بأبيات أخرى في قصيدة ثالثة يخاطب فيها رسول الله – صلى الله عليه وسلم- :

ولقد شهدت بأن دينك صادق حق وأنك في العباد جسيم

والله يشهد أن أحمد مصطفى مستقبل في الصالحين كريم(٢)

وكذلك سواد بن قارب - رضي الله عنه- عندما وفد إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم- ليعلن إسلامه، قال:

فأشهد أن الله لا رب غيره وأنك مأمون على كل غائب

وأنك أدنى المرسلين شفاعة إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب

فمرنا بما يأتيك يا خير مرسل ولو كان فيما جاء شيب الذوائب

وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة بمغن فتيلا عن سواد بن قارب (٣)

ونجد في مناسبة أخرى، شاعراً آخر، هو العباس بن مرداس

---

(١) السابق ص٥١

(٢) السابق ص٥١-٥٢

(٣) حسن الصحابة في أشعار الصحابة جابي زاده على فهمي ، ط١ ، دارة الملك عبد العزيز الرياض/ ١٤٣٤هـ

رضي الله عنه (ت١٨هـ) يوازن بين حياة الضلال التي عاشها قديما، وحياة الهدى والإيمان التي انتقل إليها حديثا، حيث يقول:

لعمري إني يوم أجعل جاهدا ضمارا لرب العالمين مشاركا

فآمنت بالله الذي أنا عبده وخالفت من أمسي يدين الحمالكا

نبي أتانا بعد عيسى بناطق من الحق فيه الفضل منه كذلكا

أمينا على الفرقان أول شافع وآخر مبعوث يجيب الملائكا(١)

ومن الشعراء الذين تناولوا هذا النوع من التوحيد في قصائدهم، عبد الله بن رواحة ا[٢] وكعب بن مالك في مناقضاته لضرار بن الخطاب يوم بـــدر، وفي رثاءه الخليفة عثمان بن عفان[٣] ، وحسان بن ثابت[٤] ، رضي الله عنهم أجمعين.

والإيمان نعمة عظيمة من الله تعالى على العبد، ولذلك وجب عليه حمده وشكره. ولذا كثر شعر الحمد والثناء على الله في نتاجهم الشعري.

---

(١) ديوان العباس بن مرداس ، تحقيق يحيى الجبوري، ط، مؤسسة الرسالة بيروت، ص١٢٠

(٢) ديوانه ، تحقيق وليد قصاب ، ط١، دار العلوم الرياض ، ١٤٠٢هـ ص١٦٣

(٣) ينظر: ديوانه ص٩٧، ١١٤

(٤) ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق وليد عرفان ، ط ، دار صادر بيروت ص ١٨٩، ٢٦٥

٢ - الثناء على الله:

قال تعالى: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) (الفاتحة: ٢ -٣)

عن ابن عباس قال: قال عمر رضي الله عنه : قد علمنا سبحان الله ولا إله إلا الله ، فما الحمد لله ؟ فقال علي: كلمة رضى الله لنفسه .

عن جابر بن عند الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد الله ، وقال الترمذي حسن غريب.

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (البقرة: ١٧٢)

يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين بالأكل من طيبات ما رزقهم الله تعالى وأن يشكروه تعالى على ذلك إن كانوا عبيده، والأكل من الحلال سبب لتقبل الدعاء والعبادة ،كما أن الأكل من الحرام يمنع قبول الدعاء والعبادة.

قال تعالى: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (الكهف: ١)

وقال تعالى: وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُور (لقمان: ٢٢)

والحمد والثناء على الله من أنواع العبادات، وقد حمد الصحابة ربهم وأثنوا عليه، على نعمه الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى، ومن أجلها نعمة الإسلام، قال النابغة الجعدي رضي الله عنه:

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي حتى لبست من الإسلام سربالا (١)

فالشاعر يحمد الله حمداً كثيراً على أن هداه للإيمان قبل موته، واختار أن تكون جملة (الحمد لله) اسمية؛ وذكر البلاغيون أن الجملة الاسمية تفيد الدوام والاستمرار، فهو يحمد الله حمدا بلا انقطاع.

كما يحث الشاعر في قصيدة أخرى على ثناء الله وحمده، وأن يكون ذلك دائما، والموفَّق هو الذي وفّق لذلك، فقال:

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلما (٢)

وكذلك لبيد رضي الله عنه عندما كان يتذكر مآثره وما حباه الله من نعم التوحيد، وأسند ذلك كله إلى الله سبحانه وتعالى:

أحمد الله فلا ندّ له بيديه الخير ما شاء فعَل

من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء أضل(٣)

وحسان بن ثابت رضي الله عنه في مدحه للنبي- صلى الله عليه وسلم – يشير إلى نعمة الإسلام، وأنه يجب الشكر والحمد على ذلك:

وأنذرنا ناراً، وبشرَ جنةً وعلمنا الإسلام، فالله نحمد(٤)

وتقديم لفظ الجلال على فعل الحمد (فالله نحمد) يفيد الاختصاص، كقوله تعالى: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (الفاتحة: ٥) فالمحمود هوالله جلّ جلاله لاغيره. وهذا هو توحيد الربوبية الخالص.

وتقتضي نعم الله سبحانه وتعالى أن تقابل بالشكر والثناء،

---

(١) ينظر: شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين ، جمع د/ عبد الله الحامد، ط٢، دار الأصالة الرياض ، ١٤٠٥ ص ١٣٨-١٣٩

(٢) ينظر: النابغة الجعدي عصره حياته وشعره : ص ٦٤، ١٠٤

(٣) ينظر: ديوان لبيد، تقديم حنا نصر الحي ، ط١، دار الكتاب العربي بيروت بيروت ١٤١٤هـ

(٤) ينظر: ديوان حسان : ص ٥٤.

والشكر أنواع، منه ما يكون باللسان كقولنا الحمد لله ، ومنه أنواع العبادات الفعلية المتنوعة، ومن ذلك قراءة القرآن آناء الله وأطراف النهار، وقد وجد في شعرهم رضوان الله عليهم أجمعين هذا النوع من العبادة.

**٣- تلاوة القرآن الكريم:**

قال تعالى: وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا (الفرقان: ٣٠)

وقال تعالى: وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (الأعراف: ٢٠٤)

وقال تعالى: وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا (الإسراء: ٨٢)

القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة، تحدى بفصاحته الثقلين على أن يأتوا بمثله، وقد تعلقت به أفئدة الصحابة رضوان الله عليهم، واطمأنوا بتلاوته، فشاع ذلك في أشعارهم، فيقول النابغة الجعدي رضي الله عنه في قصيدته التي يذكر فيها نعمة الإسلام:

وعمّرتُ حتى جاء أحمد بالهدى وتوارع تتلى من القرآن(١)

وقال في قصيدة أخرى:

تبعت رسول الله إذ جاء بالهدى ويتلو كتابا كالمجرة نيّرا (٢)

فقد شبه القرآن الكريم بالمجرة، وهو من تشبيه المعنوي بالحسي، مما يضفي على المعنى تصويرا رائعا متمثلا في الضياء والنور الذي يشع في قلب قارئ القرآن.

---

(١) ينظر:شعر الدعوة الإسلامية : ص ٦٢.
(٢) ينظر: شعر الدعوة الإسلامية : ص ٦٢

ومن شدة اعتنائهم بهذا القرآن أنهم كانوا يتواصون به ويحثون على ملازمته أناء الله وأطراف النهار، يقول عبد الله بن رواحة عندما شرع المسلمون في بناء مسجد قباء:

أفلح من يعالج المساجدا

ويقرأ القرآن قائما وقاعدا

ولا يبيت الليل عنه راقدا

ومن يرى عن الغبار حائدا (١)

ويذكر الشاعر في موقف آخر أنّ الاعتناء بتلاوة القرآن الكريم، هو ديدن المصطفى ـصلى الله عليه وسلمـ، ولذلك يجب على المسلمين الاقتداء به:

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذ انشقّ معروف من الصبح ساطع

وأعلم علماً ليس بالظن أنني إلى الله محشور هناك وراجع(٢)

ومثل هذا ورد على لسان شعراء آخرين من الصحابة، كحميد ثور الهلالي رضي الله عنه حيث يقول في أرجوزته التي قالها حين أتى إلى النبي ـصلى الله عليه وسلمـ معلنا إسلامه:

حتى أتيتُ المصطفى محمدا

يتلو من الله كتاباً سرشدا

فلم نكذب وخررنا سجدا

---

(١) ديوان عبد الله بن رواحة ص ١٢٩.
(٢) ديوان عبد الله بن رواحة: ص ١٦٢.

**وكذلك يقول حسان رضي الله عنه:**

**نبيٌّ يرى ما لا يرى الناس ويتلو كتاب الله في كل مسجد[٢] حوله**

**وهكذا نرى من خلال شعر الصحابة –رضوان الله عليهم- عنايتهم بكتاب الله سبحانه وتعالى، وتعبدهم بتلاوته مخلصين له الدين، متبعين في ذلك منهج رسول الله –صلى الله عليه وسلم- ؛ لأنّ الاتباع شرط من شروط صحة العبادة ، وقد ذكرو ذلك في أشعارهم التي تدل على أهميته، وأنه نوع من توحيد الألوهية.**

**٤ – الاتباع:**

**ويراد به اقتفاء سنته صلى الله عليه وسلم ، والعمل بها وقد اجتهد الصحابة رضوان الله عليهم في ذلك، وأعلنوا في شعرهم موافقة لما ورد في القرآن الكريم واستجابة لدعوة الله للمؤمنين بإطاعة الرسول وأخذ ما جاء به .**

**قال تعالى:ومن يطع الرسول فقد أطاع الله (النساء)**

**وقال تعالى: وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ( الحشر: ٧) وقال تعالى: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ**

---

(١) وينظر: الإصابة في تمييز الصحابة: ط، مصطفى محمد ، المكتبة التجارية ١٣٥٨هـ ، ١/ ٣٥٥

(٢) ديوان حسان بن ثابت : ص ٦٠.

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (آل عمران: ٣١ – ٣٢)

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ(الأعراف: ١٥٧)

وأشاد بأهمية هذا النوع من توحيد العبادة الشاعر الصحابي الجليل كعب بن مالك رضي الله عنه في قصائد متعددة، وفي مناسبات مختلفة، فذكر أنّ اتباع الرسول –صلى الله عليه وسلم- من توفيق الله وهدايته للعبد، وأن عدم الاتباع ضلال مبين:

فمن يَتبَغه يُهدَ للحق رشده ومن يكفر به يُجزَ بالكفر والغدر(١)

وكان في بعض قصائده التي مدح فيها النبي –صلى الله عليه وسلم- وذكر فيها هداية الله الناس إلى الإسلام أنّ الخير في اتباع المصطفى – صلى الله عليه وسلم- وقد فخر باتباعه هدي محمد صلى الله عليه وسلم:

فينا الرسول شهاب ثم يتبعه نورٌ مضيءٌ له فضل على الشُّهب

برا لنا فاتبعناه نصرته وكذبوه فكنا أسعد العرب (٢)

وقال في قصيدة أخرى:

وفينا رسول الله نتبع أمره إذا قال فينا القول لا نتطلع

تدلى عليه الروح من عند ربه ينزل من جو السماء ويرفع (٣)

استقاه من قوله تعالى: ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٩) فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (النجم: ٨ – ١٠)

---

(١) ديوان كعب بن مالك سامي العاني، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٩، ص١٧٥

(٢) ديوان كعب بن مالك: ص ١٧٤

(٣) ديوان كعب بن مالك: ص ١٧٤

وكذلك في قصيدته التي رثى فيها أبطال المسلمين وشهداءهم في غزوة أحد:

نشجت وهل لك من منشج ... ولكنت متى تزاكر تلجج

وقتلاهم في جنان النعيـ ... ـم كرام المدخل والمخرج

وأشياع أحمد إذ شايعوا ... على الحق ذي النور والمنهج(١)

٥ - الحلف بالله:

الحلف بالله من تعظيم العبد لخالقه، ولا يجوز الحلف إلا بالله قال صلى الله عليه وسلم: "من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت" (حديث صحيح)

ويؤكد هذا المعنى القرآن الكريم بقوله:

قال تعالى: وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (الأنبياء: ٥٧)

قال الله تعالى: وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (يوسف: ١٠٦)

ويدل الحلف بالله على صلة العبد بربه، ولذلك نجد في أشعارهم القسم، سواء كان بلفظ الفعل (أقسم، أحلف)، أو بصيغته نحو: (والله ، تالله)، ومن ذلك ما قاله كعب بن زهير:

فأُقسمت بالرحمن لا شيء غيره ... يمين امرئ برٍّ ولا أتحلل(٢)

وكقول عبد الله بن رواحة في عزوة بدر، بعد انتصار المسلمين، يحمد الله على ذلك، ويعير أبا سفيان، ويؤكد له بأنه لو

---

(١) ديوان كعب مالك : ١٤٩

(٢) ديوان كعب بن زهير شرح د/ مفيد قميحة، ط١، در ثواب للطباعة، الرياض ١٤١٠ هـ ، ص ١٢٢.

راودته نفسه بأن يعادي أصحاب محمد أو يحاربهم لرجع خائبا ذليلا:

فأُقسم لو وافيتنا فلقيتنا  لأُبتَ وسيما وافتقرتَ المواليا(١)

وكذلك حينما تقدم –رضي الله عنه- في غزوة مؤتة، ليأخذ الراية بعد استشهاد زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب، فدخله شيء من الروع، فأخذ يشجع نفسه:

أُقسمتَ يا نفس لتنزِلنّه

طائعة أو لتكرهنّه (٢)

وقد استعان بالقسم، لتثبيت النفس وتوطينها، حتى نال بغيته وهي الشهادة في سبيل الله.

وكانوا بارِّين في قسمهم؛ لأنه لا ينبغي للمسلم إذا حلف بالله أن يحنث، وخاصة إذا كان الحلف على فعل برّ أما إذا كان على فعل معصية فيجب عليه الحنث والتكفير عن يمينه، لأنه بمثابة العهد بين العبد وربه. ومما يؤكد على ذلك قول ابن الزبعرى رضي الله عنه:

فإنْ أُحلِفْ وربِّ البيـ  ـتِ لا أُحلف عن إثمِ(٣)

وأحيانا يستخدمون أداة القسم، كقول خفاف بن نُدبة رضي الله عنه في قصيدته التي مدح بها أبا بكر الصديق رضي الله عنه:

إنّ أبا بكرٍ هو الغيثُ إذا  لم يشملِ الأرضَ سحابٌ بما

تالله لا يدرك أيّانه  ذو طِرّةٍ حافٍ ولا ذو حفاء(٤)

---

(١) ديوان عبد الله بن رواحة : ص ١٣٨.
(٢) ديوان عبد الله بن رواحة : ص ١٥٣.
(٣) شعر ( عبد الله بن الزبعرى) : ص ٤٨
(٤) حسن الصحابة في أشعار الصحابة: ص ٢٩-٣٠

٦ - الشهادة في سبيل الله:

قال تعالى:وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ (البقرة: ١٥٤)

قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(التوبة: ١١١)

قال تعالى: وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (آل عمران: ١٦٩)

هي من الغايات التي يطمح إليها ذوو النفوس المؤمنة المتعلقة بلقاء الرحمن، والشوق إليه، فمن ظفر بالشهادة في سبيل الله فقد فاز، ولذلك قال خبيب بن عدي رضي الله عنه:

فلست أبالي حين أقتل مسلماً  على أي جنب كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ  يبارك على أوصال شلو ممزع(١)

وكعب بن مالك رضي الله عنه يبدي عظيم رغبته في نيل الشهادة، ويرجوها من عند الله، ليفوز بالجنة.

يرى القتل سرحا إن أصاب شهادة  من الله يرجوها وفوزاً بأحمد

---

(١) وسيرة ابن هشام تحقيق مصطفى السقا ، وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ط٣ دار ابن كثير ، دمشق بيروت ١٤٢٦هـ : ٣/ ١٨٥ ، ١٨٦.

يزود ويحمي عن ذمار محمد ويدفع عنه باللسان وباليد(١)

كما كان يشيد بفضل الموت في سبيل الله، وأنهم يحبونه ولا يكرهونه ابتغاء ما عند الله، فقال في يوم بدر:

ويوم بدر لقينائم لنا مدد فيه مع النصر ميكال وجبريل

إن تقتلونا فدين الله فطرتنا والقتل في الحق عند الله تفضيل(٢)

وقد رثى الشهداء في غزوة مؤتة، وذكر أنهم أصابوا الخير، لصبرهم على نيل الشهادة، وهي منحة جليلةمن الله سبحانه وتعالى:

صلى الإله عليهم من فتية وسقى عظامهم الغمام المسبل

صبروا بمؤتة للإله نفوسهم حذر الردى، ومخافة أن ينكلوا

قوم بهم عصم الإله عباده وتغمدت أحلامهم من يجهل

ويا هاشما إن الإله حباكم ما ليس يبلغه اللسان المفصل

وبهديهم رضي الإله لخلقه وبجرهم نُصِرَ النبيُّ المرسل(٣)

وكذلك النابغة الجعدي يخاطب امرأته في شأن رغبته في الجهاد، وطمعه في نيل الشهادة في سبيل الله، وأن عليها أن تصبر ولا تجزع، وإنه إذا لحق بربه فلتتزوج غيره:

باتت تذكرني بالله قاعدة والدمع ينهل من شأنيهما سَبَلا

فإن رجعت فرب الناس يرجعني وإن لحقت بربي فابتغي بدلا(٤)

---

(١) ديوان كعب ص ١٩٦.
(٢) كعب بن مالك الأنصاري شاعر العقيدة الإسلامية: ص ٧٨.
(٣) ديوان كعب مالك ١٩٣-١٩٤
(٤) شعر الدعوة الإسلامية ٢١٦

٧- الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم:

مما يجب على المسلمين من الطاعة: المحافظة على حماية النبي –صلى الله عليه وسلم- ودفاعهم عن ذاته الشريفة، بكل ما أمكن، سواء بالقلم أو اللسان أو السنان. وكان صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم- قد ضربوا المثل العليا في الدفاع عنه، فقد بذلوا ما في وسعهم ، لحمايته، والذب عنه، ويفتخرون بذلك أيما افتخار، قال كعب مالك:

يزود ويحمي عن ذمار محمد ... ويرفع عنه باللسان وباليد

وينصره من كل أمر يريبه ... بجود بنفس دون نفس محمد

يصدق بالأنباء بالغيب مخلصاً ... يريد بذاك الفوز والعز في غد(١)

وهو بهذه الأبيات يصف قومه بهذه الطاعة، وهي الدفاع عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

وكذلك حسان رضي الله عنه يذكر دفاعه عن النبي –صلى الله عليه وسلم – بكل شيء حتى بنفسه ووالده:

هجَوتَ محمداً، فأجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاءُ

أتهجوه ولست له بكفء ... فشركما لخيركما الفداء

فإن أبي ووالده وعرضي ... لعرض محمد منكم وِقاءُ(٢)

ويفتخر حسان بهذا الدفاع المستميت، ويشيعه في شعره ؛ لأن في ذلك تحدثاً بنعمة الله.

---

(١) كعب بن مالك: ص ٧٩.
(٢) ديوان حسان ص ٢٠-٢١.

نصرنا وآوينا النبي محمدا  على أنف راضٍ وراغمِ(١)

وفي مشهد آخر من مشاهد الذود عن المصطفى صلى الله عليه وسلم نجد عبد الله بن أنيس رضي الله عنه، حينما ندبه رسول الله - صلى الله عليه وسلم- لقتل خالد بن سفيان الهذلي الذي جمع الناس بنخلة لغزو النبي – صلى الله عليه وسلم- ، فسار إليه الشاعر، وقتله شر قتلة، فقال في ذلك:

تركت ابن ثور كالحمار وحوله  نوائح تفري كل جيبٍ مقدد

وقلت له: خزها بضربة ماجد  حنيفٍ على دين النبي محمد

ولكنت إذ هم النبيُّ بكافرٍ  سبقت إليه باللسان وباليد(٢)

وكذلك العباس بن مرداس يصف دفاعه ودفاع الصحابة عن النبي – صلى الله عليه وسلم- في غزوة حنين:

ونحن يوم حنين كان مشهدنا  للدين عزاً وعند الله مدّخر(٣)

## ٨- البداية باسمه تعالى على سبيل التبرّك:

من كمال الإيمان أن يستعين المسلم بربه في كل أموره الدينية والدنيوية، لأنه سبحانه خير المستعان، وعليه التكلان. وفي ذلك يقول تعالى: وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ

---

(١) ديوان حسان تحقيق د/ وليد عرفات ، ط، دار صادر بيروت د.ت ١/ ١٨-١٩

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ٤/ ٢٦٨، ٢٦٩ دار داهش ١٤٣١هـ . وينظر: وينظر: د/ عبد الله أبو داهش شعراء حول الرسول صلى الله عليه وسلم ط١ ص ١٦٨.

(٣) الاستيعاب لابن عبد البر: ٣/ ١٠٣. حاشية الإصابة في تمييز الصحابة ط مكتبة التجارية ١٣٥٨هـ

رَحِيمٌ (هود: ٤١) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (النمل: ٣٠)

وللصحابة نماذج من ذلك في شعرهم، قال عبد الله بن رواحة في عمرة القضاء عندما كان يطوف الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالكعبة على ناقته، والمسلمون حوله يطوفون:

باسم الذي لا دين إلا دينه

باسم الذي محمد رسوله

أنا الشهيد أنه رسوله (١)

ومما تمثل به الصحابة من شعره يوم حفر الخندق:

باسم الإله وبه بَرَينا

ولو عبدنا غيره شقَينا

فعبزا ربّا وحبّ ودينا(٢)

ومن ذلك شعر الصحابة في التقليد ما تمثلوا به وهم يحفرون الخندق مع رسول الله ـصلى الله عليه وسلمـ

والله لولا الله ما اهتدينا

ولا تصدّقنا ولا صلّينا

فأنزلنّ سكينةً علينا

وثبّت الأقدامَ إن لاقينا

---

(١) ديوان عبد الله بن رواحة: ص ١٤٦ .
(٢) ديوان عبد الله بن رواحة: ص ١٤٢.

إنّ الألى قد بغوا علينا

إذا أرادوا فتنةً أبينا

٩ - حسن الخلق:

وهو من القيم الكريمة التي جاء الإسلام بإتمامها، وبثها في أرواح المؤمنين وتعاملاتهم وجعلها معياراً ومقياساً للإيمان وزيادته في قلب المؤمن ودعا إلى التأسي بالرسول صلى الله عليه وسلم في خلقه فقال تعالى:

قال تعالى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (الأحزاب: ٢١)

فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ (آل عمران: ١٥٩)

قال تعالى: وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (الشعراء: ٢١٥)

مما وجد في أشعارهم أيضا حسن الخلق، وهو من الطاعات التي تقرب إلى الله، ففي الحديث: ( أقربكم مني منزلا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا)، وحسن الخلق له صور عديدة، نقتصر منه بنموذج واحد وهو كفّ الأذى عن الناس، قال عبد الله بن حاتم الطائي رضي الله عنه يخاطب قومه:

أجيبوا يا بني ثعل بن عمرو ولا تلتمسوا الجواب من الحياء

سأترك ما أروّث لما أروتم وروّك من عصاك من العناء

وصاغ هذا المعنى في صورة من التشبيه المركب، فشبه حاله وبعده عن أذى النبي صلى الله عليه وسلم وسلامته من ذلك، بالمسافة ما بين السماء والأرض. وفي ذلك تصور تخييلي بعيد وجميل إذ تكون من عدة أمور يقابلها أمور أخرى.

**١٠ - التقوى:**

التقوى من أعمال القلوب، ويظهر أثرها في الجوارح، فيأتمر الإنسان بما أمر الله به، ويجتنب ما نهى الله عنه، وهي زاد المتقين، قال تعالى: (وتزّودوا فإن خير الزاد التقوى) سورة البقرة. قال تعالى: أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (البقرة: ٤٤)

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ (المائدة: ٣٥)

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} النساء:( ١ )

وكان صحابة رسول الله –صلى الله عليه وسلم- هم سادات المتقين، ولذلك وصفهم حسّان رضي الله عنه بهذه الصفة عندما كان يفاخر بهم وفد تميم:

إن الذوائب من فهر وإخوتهم  قد بينوا سننا للناس تتبع

يَرْضَى بها كل من كانت سريرته  تقوى الإله وبالأمرِ الذي شرعوا

قومٌ إذا حاربوا ضروا عدوهم  أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا

---

(١) شعراء حول الرسول –صلى الله عليه وسلم- ص ١٥٤ .

سجية تلك فيهم غير محدثة  إن الخلائق فاعلم شرها البدع(١)

ويظهر في هذه الأبيات لون من ألوان البديع وهو (الجمع مع التقسيم ) أي: تقسيم متعدد ثم جمعه، فقد قسم في البيت ( قوم إذا حاربوا...) صفة الممدوحين إلى ضر الأعداء، ونفع الأولياء، ثم جمعها في البيت التالي، حيث قال: (سجية تلك...) إلخ[٢] . قال عبد القاهر الجرجاني: " ومنه التقسيم وخصوصا إذا قسمت ثم جمعت كقول حسّان، وذكر البيتين[٣] .

ويذكر حسان رضي الله عنه شأن التقوى في مقام آخر، وذلك عندما كان يقف مناقضا لابن الزبعرى قبل إسلامه:

وعلونا يوم بدرٍ بالتقى  طاعة الله وتصديق الرسل(٤)

## ١١ - الصبر:

وقد امتثل به الصحابة لأمر الله تعالى: وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (البقرة: ٤٥)

وقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (آل عمران: ٢٠٠)

قد ورد ذكره في في قصيدة كعب بن مالك رضي الله عنه التي قالها في أحد:

---

(١) ديوان حسان بن ثابت ص ١٥٢

(٢) ينظر:القزويني الإيضاح في علوم البلاغة ص ٣٣٦. تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، ط٤، دار الكتاب اللبنابي ١٣٩٥.

(٣) ينظر: دلائل الإعجاز : ص ٨٨. تحقيق د: محمود شاكر ط١ ، مكتبة الخانجي القاهرة، ص ٩٤

(٤) ينظر: ديوان حسان: ص ١٨٢.

ألا أبلغا فهرا على نأي دارها وعندهم من علمنا اليوم مصدق

لأنا غداة السفح من بطن يثرب صبرنا ورايات المنية تخفق

صبرنا لهم والصبر منا سجية إذا طارت الأبرام نسمو ونرتقي(١)

وقال أيضا يناقض ضراراً :

وسائلة تسائل ما لقينا ولو شهدت رأتنا صابرينا

صبرنا لا نرى لله عدلاً على ما نابنا متوكلينا(٢)

١٢- الخشية من الله:

وهي من العبادات القلبية أيضاً، وإذا تمكنت هذه العبادة في قلب المؤمن عالجت كثيرا من الأمراض القلبية، ولذلك قال النابغة رضي الله عنه:

منع الغدرَ فلم أهممْ به وأخو الغدر إذا هم فَعَلْ

خشيةُ الله وإني رجلٌ إنما ذكري لنارٍ بقَبَلْ(٣)

١٣- ومن الطاعات التي نختم بها هذا المبحث : الدعاء، وهو مخ العبادة، ولذلك كان الصحابة يدعون ربهم مخلصين في جميع أعمالهم فرادى أو جماعات، ويتضح ذلك في أرجوزة عامر بن الأكوع رضي الله عنه حيث يقول:

لا همّ لولا أنت ما اهتدينا

---

(١) ينظر: كعب بن مالك: ص ٨١.
(٢) ينظر: كعب بن مالك: ص ١٠٠
(٣) ينظر: النابغة الجعدي عصره حياته وشعره: ص ٦٢، ١٠٠.

ولا تصدقنا ولا صلينا

فاغفر فداء لك ما أبقينا

وألقين سكينة علينا

وثبت الأقدام إن لاقينا

إنا إذا صيح بها أبينا(١)

**فهو يثني على الله سبحانه وتعالى و يذكره بما أهله، فلولا الله لم يكن ثمَّ توفيق إلى الطاعات من صلاة وصدقة وغيرها، وطلب من ربه المغفرة، والثبات عند لقاء العدو. ( وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ).**

**وتخلص إلى أن الصحابة رضي الله عنهم ، آمنوا، وامتلأت قلوبهم تقوى وطاعة لله تعالى، واستجابوا لأوامر الله تعالى فكان شعرهم تسجيلا لهذه العاطفة المليئة بمشاعر الإيمان،**

**وصورة لما أخذته من الإسلام في حياتهم من علاقة بين العبد وربه ، فأسلموا بأفعالهم، كما آمنوا بقلوبهم .**

**وحري بهذا الشعر أن يدرس وأن يحظى بعناية الدارسين قراءة وتحليلا واستنباطاً في الخطاب الأدبي فكرا وأسلوباً.**

---

(١) ينظر: صحيح البخاري: ٥/ ٧٢، ٧٣، وصحيح مسلم بشرح النووي: تحقيق فؤاد عبدالباقى ، دار إحياء التراث ، بيروت ،باب غزوة خيبر حديث :١٨٠٢ ، ١٢/ ١٦٦.

## المبحث الثاني

## الخصائص الأسلوبية

**أولا: الألفاظ**

**تمتاز لغة الشعر في صدر الإسلام وما صدر منه عن الصحابة رضوان الله عليهم، برقة الألفاظ، وسلامتها وبعدها عن الغريب، فليس فيها الضجيج والعجيج والفخامة التي حواها اللفظ في الشعر الجاهلي.[1]**

**وما ورد من هذا الشعر في باب توحيد الألوهية جاءت ألفاظه سهلة، تلائم معاني الطاعة والخضوع والاستسلام لله فهذا مازن ابن الغضوية يعلن إسلامه، وخوفه وخشيته ويصرف همه إلى الجهاد والصوم والحج فيقول:**

ولكنت امرأ باللهو والخمر مولعا  شبابي إلى أن الجسم بالنهج

فبدّلني بالخمر خوفا وخشية  وبالعهر إحصانا فحصن لي فرجي

فأصبحت همي في الجهاد ونيّتي  فلله ما صومي ولله ما حجي[2]

**فقد اختار ألفاظ " مولعا" ، و "النهج" و "خوفا" و " خشية" و "الجهاد" ، و "نيتي"، و"صومي"، و"حجي"، كلها كلمات إسلامية ذات مدلولات خاصة، مقتبسة من القرآن الكريم.**

**وأبرز ميزاتها السهولة ، والوضوح، ويزيدها التركيب جلاء وقوة، فإذا أفردت عادت ألفاظا مألوفة، فلما تآلفت في التركيب**

---

[1] عبد الله الحامد ، الشعر في صدر الإسلام ص٤

[2] شعر الدعوة الإسلامية ٥٠٠، ٥٠١

والصياغة الشعرية كان لها الإشعاع اللفظي الذي يدركه ذوق المتلقيّ . وهنا يبرز صنع الشاعر المتقن حين يلبس معانيه من التراكيب ما تحسن فيه ، ويظهر المراد بجلاء ووضوح.

وقد يتجاوز الشاعر حدود المباشرة في الألفاظ، فيدخلها في باب المجاز ليوحي بتلك الفضاءات من المعاني الإيمانية في نفسه مالا يحمله اللفظ أو التركيب المألوف، فنجد عبد الله بن الزبعرى يعلن في بيته من قصيدته الاعتذارية:

آمن اللحم والعظم بما قلت ... فنفسي الفدا وأنت النذير

حيث جعل إيمانه لم يمس قلبه وحده ، بل خالط اللحم والعظم ، فتغلغل في سائر جسده، وتلك قمة الإيمان والتصديق، وقد وفق في بناء التركيب الإسنادي حين أسند مجازا الإيمان إلى اللحم والعظم ، ليجعل الجوارح تشارك القلب في الإقرار بالله وبرسالة نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم-

وهذا العطف في (آمن اللحم والعظم) يثير فينا عاطفة حب الإله، وتشركنا مع الشاعر في صدق إيمانه، وقد حرر هذا المعنى في هذه الألفاظ ذاتها في أبيات كثرت في شعره منها :

فاليوم آمن بعد قسوته ... عظمي ولحمي بعده لحمي

ورغم أنّ كلمتي عظم ولحم، وجملة "آمن" من الصيغ القريبة المألوفة، إلا أنها اكتسبت جلالا في هذا التركيب لقدرة الشاعر على تأليف العبارة تأليفا حسنا، يملأها قوة وبياناً.

ومن تأمل جملة شعر الصحابة في هذا الباب يلحظ أن طائفة من ألفاظه قرآنية المصدر أو إسلامية المحتوى، وذلك ليس غريباً، فقد كان الشعراء في الصدر الأول يرددون (( بعضا من معاني الآيات

القرآنية ويحاجون المشركين، ويباهونهم بفضل الدين، وعظمة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- .[1]

ثانياً: التراكيب:

أما الجملة في شعر الرعيل الأول من شعراء الإسلام ، فقد تعددت صيغها بين الماضوية والمضارع ، والأمر، واقترنت بالشرط والطلب والتوكيد بالقسم وغيره ، وجاء هذا التنوع تبعا لتنوع الخطاب فالمرحلة العقدية في هذا العهد ، وقيام الشعر بدوره الدعوي القائم على المحاجّة أو التعبير عن الذات، والدفاع عن الإسلام والرسول - صلى الله عليه وسلم – أو الفخر بهما ، مع التلفظ بالإقرار بالعبودية لله وصدور التوجه إليه، جعلت ورود هذه التراكيب بتلك الصفة أمراً طبعياً أن تكثر على ألسنة المبدعين من الشعراء بالحديث عن الأفعال المستقرة في نفوسهم، أو أن يتوجهوا بها تعبداً ويقينا إلى الله.

وإذا تتبعنا الديوان الشعري للصحابة نجد الفعل الماضي حاضرا بقوة في شعرهم، فتتكرر أفعال "آمن" و " آمنت"و " شهدت" و"خالفت" و"لبست من الإسلام" و "نبي أتانا" و "اهتدى" و " هداه" و " علمنا الإسلام" و" بدا لنا فأتبعناه" وهذه الجمل المبدوءة بالفعل الماضي تتكرر بشكل لافت في الدلالة على الإيمان واستقراره في قلوبهم ، وتصور مدى فرحهم بهذا الإيمان، وتدل على صدق توجههم في طاعة الرحمن فيما أتاهم به النبي -صلى الله عليه وسلم-

ويرد الفعل المضارع في شعر توحيد القصد والطلب عند شعر الصحابة الذي يحمل هذا المحتوى الإيماني ، ويكرر الشعراء أفعالا متشابهة في الدلالة ، حتى لتبدو من الألفاظ والجمل المبتذلة في

---

[1] يحي الجبوري ، شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه ، ط٥ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤١٨هـ ص ٩٥

**ظاهرها ، ولكنها اختيرت بعناية فائقة لتدل على تصوير تجدد هذا الإيمان في قلوبهم، واستمراره.**

**والجملة يختلف أثرها باختلاف نوعها ، فإذا دلت الجملة الاسمية على الثبوت والاستمرار، فإن الجملة الفعلية المضارعية تدل على التجدد والحدوث.** [1]

**أما أبرز سمات تراكيب شعر الصحابة –رضوان الله عليهم- في القصد والطلب فغلبة السهولة والعفوية، فهو شعر عفوي يجري على ألسنتهم ، ويستجيب لنوازع نفوسهم ودواعي إيمانهم،؛ ولذا خلا من التعقيد والالتواء، ولم يكن عميقا في معانيه وبعيد الغور في طلب المعاني، وهذا أمر طبعي في القول عند تجارب شعرية من الواقع المفعم بتلك الصور التي يتحدث الشعراء ، فلا يتكلف الشاعر الحديث عن أمور خارج أطر الهم الإسلامي لدى المجتمع عامة والشعراء خاصة ، وتلك الأطر الفكرية تأسر عقل الشاعر وغيره ، وما يحسب للشعراء في لغتهم الشعرية أنهم استطاعوا أن يصوروا تلك العواطف الإيمانية التي تلجلج في صدور المؤمنين ، وتشع في نفوسهم إيمانا وسروراً وحبوراً بها، نظمها الشعراء قولا بديعا يتغنى به المؤمنون ومن يتذوقون الشعر، ويرددونه.**

**ومن ذلك ما نجده في قول الأجدع الهمداني:**

**إذا ما تناووا للصلاة وجدتني يُفَزِّعُ من خوف الإله حَنَانِيا**(٢)

**وقول حسان بن ثابت:**

---

(١) ينظر: د/ محمد حماسة عبد اللطيف، اللغة وبناء الشعر ط دار غريب ، ٢٠٠١، ص٤٥

(٢) الآمدي ، المؤتلف والمختلف تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ط دار إحياء إحياء الكتب العربية ص ٦

وأنذرنا نارا وبشر جنة وعلمنا الإسلام فالله نحمدُ(١)

فالجمل " تنادوا للصلاة" و "يفزع من خوف الإله حنانيا" و " الله نحمد" من التراكيب المألوفة التي يكررها المسلمون إقرارا بعبوديتهم لله تعالى، وتوجههم إليه في طاعاتهم ، ولكنها جاءت في هذين البيتين في لغة أعلى من اللغة اليومية المعاشة ، فقدرة الشاعر على تأليف العبارة بمستوى صوتى ومعنوي أقوى من سواه ، جعلته يلبسها من أكسية الجمال ما يرتقي بها إلى مستوى لغوي بديع.

وتشيع في شعر الصحابة رضوان الله عليهم ، الصيغ الدلالية غير الأفعال كاسم الفاعل واسم المفعول حسب اقتضاء المقام لاستعمالها ؛ فصيغة الاسم تدل على الثبوت دون إفادة التجدد ، وصيغة الفعل تدل على الحدوث والتجدد.(٢)

وقد برز هذا اللطف في استخدام الأسماء المشتقّة في شعر صدر الإسلام ، فعبد الله بن الزبعرى يورد اسم الفاعل " راتق" في اعتذاريته للرسول -صلى الله عليه وسلم- في قوله:

يا رسول المليك إن لساني راتق ما فتقت إذ أنا بور

فجاءت " راتق " ملائمة للمقام بإرادة الشاعر ثبوت ضد العزم لديه ، وندمه على فعله ، وما أجمل ما أتبعه من قوله " إذ أنا بور" حيث "الكفر " و"البور" خسران والجملة الاسمية هنا ، وقعت موقعا بديعا في مقام الفعل المستهجن لهجائه النبي صلى الله عليه وسلم ، فصدرها بـ"إذ" ، وجاء بالضمير " أنا" المسند إليه ،

---

(١) الديوان بتحقيق سيد حنفي حسنين ، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٤م ص ١٣٥

(٢) محمد محمد أبو موسى، خصائص التركيب، ط٦ ، وهبة القاهرة ، ١٤٢٥هـ ص٢٩٦

والمسند إليه "بور" فدلت على تأكيد الحال التي لزمته حال فعله ، ويصور هذا التركيب ندمه على ذلك ، بختامه الحديث عن التوبة ورتق ما تفتقه على لسانه من هجين الكلام .

ويصف الدين بأنه " صادق " بصيغة اسم الفاعل ، والرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ " مستقبل" بالمفعول، ليدل على ثبات الدين، وحب الصحابة لمحمد صلى الله عليه ووسلم ، فيقول :

ولقد شهدت بأن دينك صادق حق، وأنك في العباد جسيم

ويصفه سواد بن قارب رضي الله عنه بأنه مأمون ومرسل وهو كسابقه أراد الثبات والديمومة في الصفة ولم يجعلها طارئة تنشد الاستمرار.

وعلى نحو من ذلك، يزخر باستعمال هذه الصيغ في أسلوب جذب لتأكيد استقرار الصفات في نفوسهم ، وتقرير الإيمان الراسخ في قلوبهم ، وهذا أمر يدعو القارئ إلى تلقي هذا الشعر رغم وضحه وجلائه ، وافتقاره إلى الخيال الشعري البعيد، وذلك "أن الشاعر الجيد هو من يضع أيدينا ومشاعرنا على الجوانب الفنية ، ويزيد فيها بأن نشاركه أحاسيسه ومدركاته وتجاربه الفنية التي خاضها في قصيدته "[1]

وتلك الأشعار بما حوته من تراكيب ، وصيغ مختارة ، لم تأت اعتباطاً، وإنما جرت على ألسنة الشعراء منقادة سلسة ، اتسم الشعر فيها بالتماسك والإحكام ، والملاءمة والسلاسة والتحدر.[2]

---

[1] عز الدين منصور ، دراسات نقدية ونماذج حول بعض قضايا الشعر المعاصر ، ط١ ، مكتبة المعارف ، بيروت ١٤٠٥هـ ص١٠١ .

[2] محمد محمد أبو موسى ، دلالات التراكيب " دراسة بلاغية" ط٤، مكتبة الوهبة القاهرة ١٤٢٨هـ ص٢٧٢.

**والصحابي الشاعر إنما يصف ما تفيض به نفسه ، وتغلي بـه قريحته ، وقد وافق النمط السوي للشعر الذي يأتي " نقيا نقاء هذه الخـواطر الدافقة في القلوب ، متلاحقاً تلاحق الأفكار الملتهبة في الرؤوس ، متجانساً تجانس الأنباض المهتاجة في الصدور، سخيا خصبا ... خصوبة هذه النفوس ( المؤمنة ) لأن كل كلام منا صحيفة لبّه.** [1]

**ومن الظواهر الأسلوبية التي شاعت في شعر التوحيد عند صحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " التقديم والتأخير " وهو منحى أسلوبي له غايته الفنية ، فلا يرد في الكلام ، وعند البلغاء ، ومتقدمي الشعراء اعتباطاً بل يأتي لغايات أسلوبية حسب المقام الذي تقتضيه ، فالتقديم مثلاً وهو جل ما ورد في شعر الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ، نزع فيه الشاعر عن حس دقيق واختلاجة خفية، ومعنى غامض لا يعبر عنها جميعا إلا بتجاوز الترتيب الأصلي للجملة، فالإتيان بترتيب الكلمات يلائم المقام، كالتأكيد أو القصر أو ما إلى ذلك من الأغراض البلاغية التي ينشدها الأديب.**

**وقد جعل الشيخ عبد القاهر الجرجاني هذا الباب : التقديم والتأخير ومراعاته في الكلام من أسرار البلاغة ، فهو" جم المحاسن واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفترّ لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء ، وحوّل اللفظ من مكان إلى مكان".** [2]

---

[1] المصدر السابق ص ٢٧٢

[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة ، د. ت ، ص١٠٦

وأسلوب التقديم والتأخير – كما قدمنا – يكثر في شعر الصحابة ، ولعل العلة الواضحة لذلك ما قرّ في نفوسهم من الإيمان ، وتأكيد ذلك في أقوالهم وشعرهم خاصة ، وإعلانهم الإيمان بقصر الرسالة على الرسول -صلى الله عليه وسلم- وتأكيد لزوم المسلمين باب نصرته والجهاد معه في رفع لواء الإسلام ونشره . وهذا الصحابي عبد الله بن رواحة يقول:

وفينا رسول الله يتلو كتابه ... [1]

فقدم الجار والمجرور الحال محل الخبر (المسند) على المسند إليه المبتدأ تأكيد لما يعلنه في بيته بأن الكتاب المتلو من عند الله وأنهم أخذوه تلاوة مشافهة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينفي بذلك الشك في صحة مصدره ، وما يفتري من القول حوله.

وتتكرر هذه الصور عند كعب بن مالك، ففي كل مديح لرسول الله يكرر" فينا رسول الله " و " [2] فينا رسول الله " وشواهد ذلك كثيرة في هذا الباب من الشعر عند عامة الصحابة الشعراء .

## ثالثا: التكرار

ولعل السمة الأسلوبية البارزة في هذا الموضوع الشعري التكرار، وهو سمة أسلوبية، لها أثرها في صياغة المعاني، وتقوية الأسلوب، لما تحمله من التأكيد في كل صورة من صورها. وهو" أبلغ من التأكيد" ... فإن التأكيد يقرر إرادة معنى الأول وعدم التجوز[3] ويأتي التكرار للتنبيه على مشاعر النفس ، وانفعالات الشاعر

---

[1] عبد الله بن رواحة الأنصاري الديوان (دراسة وجمع وتحقيق) د/ حسن با جودة، درا التراث القاهرة ١٩٧٢م.

[2] كعب بن مالك ، الديوان تحقيق سامي ط، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٣٨٦هـ ص٨٧

[3] ابن رشيق ، العمدة

العاطفية ، ويأتي في لفظه التوكيد ومن هنا فالتكرار له أثر في المعنى يفوق أثر التوكيد .

ويعني الشاعر بالتكرار حين يجعل من التكرار أداة التسليط الضوء على " نقطة حساسة في العبارة، ويكشف عن اهتمام المتكلم بها.[١] ويجعله ابن الأثير " دقيق المأخذ " [٢] فهو دلالة اللفظ على على المعنى مردودا، وربما اشتبه على أكثر الناس بالإطناب مرة ، وبالتطويل مرةأخرى.[٣]

وجاء التكرار في شعر الصحابة لمعان متعددة ، كما ورد فيما تقدم من شعر عبد الله بن رواحة من تكراره للفظ الجار والمجرور " فينا " وفي قول عبد الله بن الزبعرى في وصف إيمانه إذ كرر ( آمن ) مرتين في بيت واحد :

فاليوم آمن بعد قسوته  عظمي وآمن بعده لحمي(٤)

وفي قصيدة أخرى قال: " أمن اللحم والعظم "[٥] والتكرار هنا يعطي إيماءاً من الشاعر بأن الإيمان تغلغل في جسده ، وخالط اللحم والعظم .

وقد يتكرر الفعل بصورتيه ( الماضوية والمضارعة " ويحمل في صيغتين معنيين مختلفين رغم تشابه المادة اللغوية فابن الزبعرى أيضا يكرر الفعل (شهد) ومضارعه (تشهد) في قوله :

---

(١) ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق بدوي طبانة والحوفي، ط٢، دار الرفاعي الرياض، ١٤٠٤ ٧/٣

(٢) السابق

(٣) قضايا الشعر المعاصر، ط٥، د/ نازك الملائكة نشر دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٨م ص٢٧٦

(٤) شعر عبد الله بن الزبعرى ص٥١

(٥) السابق ص٤٦

ولقد شهدت بأن دينك صادق  حق وأنك في العباد جسيم

والله يشهد أن أحمد مصطفى  مستقبل في الصالحين

والفعل " يشهد " رغم مخالفته معنى الأول من جهة المسند إليه ، ووقوع الشهادة من الله إلا أنه تكرار لمعنى ثبوت رسالة الرسول محمد –صلى الله عليه وسلم- فأجاد الشاعر في تكرار الفعل شهد بصيغة المضارع ليزيد المعنى تأكيداً واستمراراً .

ومن التكرار في شعرهم تكرار المعاني العامة في جل شعرهم فالمتلقي يلحظ ورود المعاني لدى الشاعر الواحد في أكثر من مقطع شعري نحو الحديث عن الإيمان وتوكيده ووصف الأفعال اليقينة كالخشية والخوف ، وما يتوجه به العبد إلى ربه من أفعال العبادة . وهذا التكرار له فائدته ، فالموقف الشعري يتطلب ذكر ما يتعلق بالعبد من خصائص الإيمان لديـــه ، ويعلن فيه الشاعر فخره وحبه لدينه ، ويحمّله نجواه لربه ، وسلم فيه ذاته إلى الإله العظيم راجياً عفوه ، وحلمه ، وكرمه ، وعطاءه .

ونجد ذلك جلياً عند الصحابي الشاعر عبد الله بن رواحة ، فهو يكرر المعاني الإيمانية، وإجابة لدعوة الرسول –صلى الله عليه وسلم- في قوله :

حتى أُتيت المصطفى محمدا

يتلو من الله كتابا مرشدا

فلم نكذب وخررنا سجدا

نعطي الزكاة ونقيم المسجدا (١)

ونجد المعنى ذاته في شعره عند قوله:

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الصبح ساطع(٢)

وهذا المعنى يرد مكرراً عند شعراء آخرين مثل حسان بن ثابت حين يعلن حبّه للرسول –صلى الله عليه وسلم – ويؤكد نزول الكتاب ، وتعليم النبي آيات الله لأمته ، وهذا ما يجعل هذا المعنى يتكرر في شعر الصحابة رضوان الله عليهم فيقول حسان بن ثابت:

نبي يرى مالا يرى الناس حوله ويتلو كتاب الله في كل مسجد

وتتطلب هذه المعاني الإيمانية في الشعر والقول بعامة إلى سياق الخبر بصورة التأكيد ؛ ولذا كثرت التأكيدات ويشيع في شعرهم أسلوب التأكيد بأدواته وأساليبه المختلفة .

ويأتي التوكيد بأنّ وأنّ أكثر الأدوات شيوعاً في التوكيد ، كثيراً لدى شعراء الصحابة ومن بعد يأتي القسم ، والتقديم والتأخير والقصر بإنما فاستغرق الشعراء أساليب توكيد المعاني في أقوالهم ، ومن استخدام التوكيد بإنّ والقسم قول خفاف بن ندبة يمدح أبا بكر :

إنّ أبا بكر هو الغيث إذا لم يشمل الأرض سحاب بماء

تالله لا يدرك أياسه ذو طمرة جاف ولا ذو حفاء(٣)

فالشاعر هنا يؤكد حبــه لأبي بكر إعلاناً لاتباعه واقتفاء أثره وسنته ، وهو الصديق الذي جاءت الأحاديث بوجوب الأخذ بسننه التي

---

(١)حميد بن ثور ، تحقيق ، عبد العزيز الميمني، نشر دار الكتب المصرية ١٣٣١هـ ص٧٨،٧٧

(٢) السابق ص ١٢٩

(٣) حسن الصحابة في أشعار الصحابة ٢٩/١

هي سنة النبي –صلى الله عليه وسلم – في قول الرسول صلى الله عليه وسلم- ( عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي) [1] وفي اتباع سنتهم امتثال لأوامر الله، وذلك من توحيد الألوهية . فاجتمع في هذين البيتين " التوكيد بـ " إنّ " والقسم " تالله " وهما أسلوبا توكيد، والمعنى الذي طرقه خفاف يتطلب هذا النوع من تكرار التوكيد ، لما نعلم من الخلاف على أبي بكر بعد توليه الخلافة ، وخروج المرتدين، فيرد خفاف رضي الله عنه بهذا مؤكداً حبّه للراشد الصديق أبى بكر رضي الله عنه.

وبالقسم يؤكد كعب بن زهير رضي الله عنه صلته بربه فيعلن :

فأُقسمت بالله لا شيء غيره يمين امرئ برٍّ ولا أتحلل(٢)

ونحو من ذلك قول عبد الله بن رواحة في غزوة بدر، يؤكد فرحه بالنصر، والجهاد مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم- وتعييره أبا سفيان بشركه وحربه الرسول -صلى الله عليه وسلم-:

فأُقسم لو وافيتنا فلقيتنا لأبت وسيما وانتقرت الموالیا(٣)

وتقدم الحديث عن تقديم الجار والمجرور خبرا وفيه من القصر والتوكيد للمعنى ما يؤكد قصر مضمونه على المسند إليه، وتلك سمة أسلوبية عند شعراء الصحابة رضوان الله عليهم ومنها قول عبد الله بن رواحة :

" وفينا رسول الله يتلو كتابه " وغيرهما من العبارات التوكيدية لمعاني الإيمان بالألوهية في شعرهم.

---

[1] الحديث ١١٨٦ ،شرح مشكل الآثار ، لأبى جعفلا الطحاوى ، تحقيق شعيب أرناؤوط ،طـ مؤسسة الرسالة ١٤١٥هـ .

[2] الديوان ص ٦٢

[3] الديوان ص ١٥٣

وتلك الأساليب التي برزت في شعرهم ، وتلك الظواهر الأسلوبية في طوابع الشعراء و إبداعهم إلا أنّ الشعر رغم استقامته واستجابته لدواعي التجربة وما امتلأت به قلوب الشعراء، نجد أن الشاعر يدور حول المعنى ويبسط القول فيه ، ويكرر المعاني في أشكال أسلوبية متشابهة تفتقر إلى العمق، وفي ذلك دلالة على دهشة الشعراء بالقرآن، وأن الشاعر وقف عاجزا أمام بيانه المحكم ، فأخذ يدور حول معانيه ، ويردد ألفاظه ويصوغ تلك المعاني في بناء شعري، يحشد حديثه عن الإيمان والرسول والهادي دون النفاذ إلى مضامين تلك الدلالات اللفظية ومعانيها العميقة.[1]

ويعلل الدكتور عبد الله الحامد هذه الظاهرة في عامة شعر صدر الإسلام بأن " دوران الشعر حول المعنى دون النفاذ إليه دلالة واضحة على أن الشاعر الإسلامي لم يستطع أن يجاري الإسلام في طفرته ووثبته ، وأنه بقي في أحيان كثيرة يحوم حول المعاني يردد الألفاظ، ويكرر العبارات والأساليب ، دون أن يمزجه بروحه، ويعتصرها بفنه وحسبهم أن يبدأوا البداية ليأتي خلفهم أكثر إشراقاً وأعمق أفكاراً ، وأنصح بياناً" .[2]

وأخيراً يلمح القارئ في جل الشعر الذي حمل المعاني الإيمانية من الشعر في توحيد الأوهية ، أن القصيدة تتسم بالوحدة العضوية خلاف ما عهدناه عند عامة شعر الجاهليين، ولعل السبب في ذلك اختلاف الغاية من الإنشاد للشعر، والمعاني التي طرقها الشعراء حيث تتعلق بالمعاني المباشرة وغير موجهة لمتلق محدد، ويتلقفها الرواة

---

(1) ينظر: شعر المخضرمين ص ٩٥ ، وينظر: عبد الله الحامد ، الشعر الإسلامي في صدر الإسلام ط٢، الرياض، ص ١٢٥ .

(2) السابق ص ١٢٦

**والمتلقون دون عناء وتتعلق بها قلوب المسلمين، فضلا عن كونها تجربة عامة حاضرة في قلوب المسلمين جميعا. ومن هنا نجد الشعراء قد استغنوا عن المقدمة، وعمدوا إلى موضوعاتهم دون مقدمات، مما أكسب القصيدة تماسكاً، ووحدة فنية هي من أبرز سماتها.**

**ولم نقف عند هذه السمة إذ هدف البحث النظر في الشعر الذي حمل معاني الألوهية، وتضمين معاني القصد والطلب. ولم يفرد الشعراء لها قصائد منفردة ولم ينظموا فيها مطولات، وإنما جاءت عرضاً في شعرهم ، وقصائد أخرى أنشئت في أغراض أخرى كالمديح، والدعوة والجهاد وغيرها، وفي مقطوعات شعرية كما في شعر عبد الله بن رواحة وغيره من شعراء الصحابة رضوان الله عليهم في عصر صدر الإسلام .**

**رابعا: الصورة الفنية**

**أما الصورة الفنية في عامة شعر الصحابة فإنها لم تخرج من دائرة الحكم على الخيال في شعر العصر عامة الذي يستمد من قراءة مادته، ويظهر منه التأمل لمستوى الصورة فيما روي من شعر عصر صدر الإسلام أنه قليل الخيال، " وما فيه من صور خيالية إن هي إلا متوازنة على ألسنة الشعراء . ولم يجد فيها جديد، ولم يبتكر فيها مبتكر" [1] وما جاء من الصور في الحديث عن يوم القيامة وأهواله " هي ترجمة وافية لأخبار القرآن الكريم، وليس فيها من سعة التصوير أي أثر" [2] على نحو قول النعمان بن بشير:**

---

[1] الشعر في صدر الإسلام ص ١٥٤
[2] السابق ١٥٤

فاتقوا الله واحذروا شر يوم  قمطرير عذابه مشهود

فطعام الغواة فيها ضريع  وشراب من الحميم صديد

فصورة " طعام الغواة ضريع " و " شراب من الحميم " من الصور الطريفة، ولكنها مأخــوذة من صور القرآن لأهوال يوم القيامة ، ولعل غياب الخيال البعيد في هذا النوع من الشعر أي شعر التوحيد لمخاطبته العقل والفكر، وإن عبر عن الشعور والعواطف ، وما يستكن في الصدور.

**خامسا: الإيقاع**

أما إيقاع الشعر فقد سار فيها الشعراء على مذاهب الشعراء في العروض والقوافي من بحور الشعر ، فنظموا على الطويل والكامل والبسيط ومجزوء الرجز والخفيف ، وتلك بحور عهدها الشعر الجاهلي في الأغراض الجادة . ولا شك أنها تلائم المعاني التي قال فيها الإسلاميون في عصر صدر الإسلام .

وأكثر البحور حضوراً في إيقاع هذا العرض الشعري عند الصحابة بحر الطويل الذي اتكأ عليه شعراء الصحابة في قصائدهم، ومنهم سواد بن قارب في قوله :

فاشهد أن الله لا رب غيره  وأنك مأمون على كل غائب

وأنك أدنى المرسلين شفاعة  إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايب

وينشد عبد الله بن مرداس –رضي الله عنه- على البحر نفسه موازناً بين حياته قبل الإسلام وحياته بعده . وهذا من الموضوعات الجادة التي تتزاحم فيها المعاني ومعاني التوحيد خاصة التي تتدفق منه القلوب ، وتلهب العواطف، وفي بيتي ابن مرداس شاهد على ذلك حين يقول:

لعمري إني يوم أُجعل جاهداً ضماراً لرب العالمين مشاركا

فآمنت بالله الذي أنا عبده وخالفت من أمسي يريد المحالكا

فاستوعب البيتان جملة المعاني (( القسم، والجهاد، والتضمير جهاداً ، ومشاركة في الجهاد ، والإيمان بالله ، وقصر العبادة على الله ، ومخالفة المشركين .)) فالبحر الطويل ملائم لاحتمال هذا المعنى . وبحر الطويل يعطي " إمكانيات السرد والبسط القصصي والعرض الدرامي والمعاني الجادة ، فهو أطول البحور وأكثرها وروداً تاماً ، ويحفل بالجلال والرصانة والعمق." [1]

وهكذا في استعمال بحر الكامل الذي يستوعب المعاني الكثيرة في البيت الواحد.

ونجد شعراء الصحابة ، يجعلون بحر البسيط وعاءاً إيقاعياً لشعرهم ، وهو بحر يكثر استعماله " في الشعر الديني ... فهو يعطي التموج والإنسيابية ، والإيقاع الذي يعطي النفس حالة من حالات السموّ والصفا " . [2]

ومن هنا الشعر على بحر البسيط قول النابغة الجعدي :

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي حتى لبست من الإسلام سربالي

وهو من تام البسيط ، وفيه كالطويل والكامل بسط وطول يستوعب معه المعاني بصورة تامة مما يقلل عناء الشاعر في اللجوء إلى تداخلات عروضية .

أما مجزوء الرجز فجاء غالبا في الأناشيد الحماسية نحو قول

---

(1) ينظر: صابر عبد الدئم ، موسيقى الشعر ، ط٣ مكتبة الخانجي ، ١٤١٣هـ . ص١٠٨

(2) عبده بدوي ، دراسات في النص الشعري ط٢ دار الرفاعي الرياض ١٩٨٤م ص٧٢.

عبد الله بن رواحة في معركة مؤتة يحث نفسه على القتال:

أُقسمت يا نفس لتنزلنّه

طائعة أو لتكرهنه

ومثله قوله في عمرة القضاء:

باسم الذي لا دين إلا دينه

باسم الذي محمد رسولـــه

أنا الشهيد أنه رســـــــوله

وهذا البحر يصلح للترقيص والاضطراب في الحركة ، وهو هنا ملائم لما استعمله فيه الشاعر في القتال ، وفي موضع الفخر والحماسة في عمرة القضاء ، أما باقي البحور فجاءت قليلة في شعر الصحابة .

والخلاصة أن شعراء صدر الإسلام ومنهم الصحابة في هذا الموضوع أي شعر التوحيد ، نظموا كثيرا على الطويل حتى بلغت ثلث أشعارهم ثم يأتي النظم على سائر البحور كالكامل والرجز والبسيط والمنسرح والرمل والخفيف. [1] وفي استعمالهم لتلك البحور تناسب مع الموضوعات التي يطرقونها.

أما الإيقاع الداخلي ، فقد تقدم أن الصحابة رضوان الله عليهم استعملوا الألفاظ السهلة ، اللينة ، فلم يعنوا بتلك الألفاظ المجلجلة ، والقوية ، التي تقرع السمع، ولا يعني استعمالهم للألفاظ السهلة ضعف الإيقاع ، فقد يأتي الألفاظ مهموسة ، توسوس بالمعاني ، وتناسب رقتها نحو قول لبيد:

أحمد الله فلا ند له  بيديه الخير ما شاء فعل

---

[1] ينظر: الشعر في صدر الإسلام ص ١٢٨- ١٢٩ .

من هداه سبل الخير اهتدى  ناعم البال ومن شاء أضل

وقول النابغة الجعدي :

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى  ويتلو كتابا كالمجرة نيرا

فلا نجد في هذه الأبيات ألفاظا قارعة للأذن ، نحو" قوارع " و "نشجت" و "مصرع" و " ممزع " وهي ألفاظ وردت في أشعارهم ولكنها قليلة لا تمثل إيقاعا شائعاً ، وغلب على الشعر الإيقاع السهل ، والجرس الهادي.

## الخاتمة:

بعد هذه الجولة الماتعة مع أشعار الصحابة رضوان الله عليهم في عصر صدر الإسلام ، وما سطروه من شعر بديع في دواوينهم ، ندرك غايتهم النبيلة فيما التزموا فيه حين وصفوا من خلاله عقيدتهم الراسخة، وإيمانهم بالله رباً ، والإسلام ديناً ومحمد –صلى الله عليه وسلم - نبياً ورسولاً وما يقتضيه كل ذلك من ذكر إيمانهم بالرب وصفاته وأسمائه وما بثوه خلال شعرهم من عاطفة إيمانية جياشة تصور سرورهم واغتباطهم بتوفيق الله وهدايته لهم. واستطاعوا أن يبدعوا قصيداً تتجلى فيه براعتهم الشعرية ، وفصاحتهم اللغوية، وبلاغتهم القولية ، وسعيهم لإقرار وتأكيد ما آمنوا به واعتقدوه.

وقد عرفنا شعر التوحيد عند هؤلاء الصحابة الأبرار، مادة عقدية صافية صورت ما انطوت عليه نفوسهم من الإيمان الصحيح، وقدرتهم على استلهام معاني القرآن والحديث فيما أوردوه من الأفكار، فجاءت على ألسنتهم واضحة جلية ، دقيقة، تقرها العقول، وتتساوق مع القرآن في أمثلته وبيانه، وتتمثل الحديث النبوي في إرشاداته وتعاليمه، مستجيبة لنداء الله الخلق جميعاً " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون " والدعوة إلى التوحيد بأقسامه المعلومة ديناً مؤثراً في قلوب المتلقين، وتغري بالمعاني السامية العواطف بالميل إلى الحق وتنكب طريق الضلال. إنه شعر يمثل الإسلام في رسالته السامية، وبعثة الأنبياء في غايتها العظمي. أن لا إله إلا الله الرب الواحد ذو الأسماء الحسنى والصفات العلى.

واستطاع الشعراء الصحابة أن يسخروا بلاغتهم لتصوير معانيهم، في أساليب بليغة وأداء بديع لم يعمد فيه المبدعون . وهم

أهل اللسن والفصاحة إلى رسم الصورة الخيالية المحلقة، بل وظفوا أساليب القول البليغ، بما يلائم مقتضيات الأحوال والمقامات وما يقرر المعاني ويؤكدها في شعرهم. حتى ظن بعض الباحثين أنّ ذلك ضعفاً ولیناً في شعرهم وما هو إلا توافق مع أسلوب القرآن المعجز في تقرير الحقائق في نظمه البديع.

وأظهروا في خضم جهادهم بألسنتهم للدفاع عن عقيدتهم وإيمانهم، التزاماً صادقا يحسن بالشعراء أن يحتذوا حذوهم في فهم معنى الالتزام الأدبي تجاه المعتقدات والمسلمات الاجتماعية السامية دون الرضوخ إلى الدعوات المشرقة أو المغرّبة، في تزيينها الخروج عن القيم الموروثة من العقيدة الصافية، طلبا للتجديد، وسعياً وراء كل التحديث والحداثة الموجهة لا تعارض الأصالة المؤسسة على الالتزام بالقيم الثابتة التي لا تتحول، فليس هناك ثابت ومتحول، بل حق ملتزم، وجديد مستلهم تؤصله العقول النيرة ليكون موائماً للفكر الإسلامي، والمجتمع المسلم، والروح الإيمانية السامية، والعقيدة الصافية .

وما لفت البحث إليه من قيم معنوية، وفكرة نالت حظاً وافراً من الوضوح والدقة في شعر الصحابة، وما أديت به من أسلوب أدبي تجلله الروعة . ليس كل ما يقال في هذا العصر، وفي أدب هذا الجيل من الصدر الأول، فلا يزال الميدان الأدبي والنقدي فسيحاً يتيح قراءة نتاج شعراء العصر والتأمل فيما صدر عنهم من شعر ونثر، وسنجد الكثير من الجوانب التي تدعو إلى البحث والبسط.

والله ولي التوفيق والسداد.

## ثبت المصادر والمراجع


- ابن الأثير المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق بدوي طبانة والحوفي، دار الرفاعي ، الرياض ١٤٠٤.
- ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، ، ط٣ ، دار ابن كثير، دمشق- بيروت ١٤٢٦.
- الآمدي المؤتلف والمختلف تحقيق عبد الستار أحمد فراج دار إحياء الكتب العربية .
- الإيضاح في علوم البلاغة دار إحياء العلوم .
- حسن الصحابة في أشعار الصحابة ، جابي زادة على فهمي ، دارة الملك عبد العزيز ، الرياض/ ١٤٣٤.
- حميد بن ثور ، الديوان ، تحقيق، عبد العزيز الميمني، نشر دار الكتب المصرية ١٣٣١هـ
- ديوان العباس المرداس، تحقيق يحي الجبوري مؤسسة الرسالة بيروت لبنان .
- ديوان حسان بن ثابت تحقيق د/ وليد عرفان دار صادر بيروت .
- ديوان عبد الله بن رواحة، تحقيق وليد قصاب ، دار العلوم ، الرياض ، ١٤٠٢هـ.
- ديوان كعب بن مالك تحقيق سامي مكتبة النهضة بغداد، ١٩٦٩م.
- ديوان لبيد، تقديم حنا نصر اليحي ، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٤هـ.
- سيرة ابن هشام
- شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين د/ عبد

الله الحامد دار الأصالة ، الرياض ١٤٠٥

- شعر عبد الله بن الزبعرى، جمع د/ يحي الجبوري مؤسسة الرسالة بيروت لبنان .
- صابر عبد الدائم، موسيقى الشعر ، ط٣ مكتبة الخانجي ، ١٤١٣هـ
- صحيح مسلم بشرح النووي .
- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز مكتبة الخانجي ، القاهرة .
- عبد الله الأنصاري، الديوان ، ( دراسة جمع وتحقيق ) د/ حسن با جودة، دار التراث القاهرة ١٩٧٢م.
- عبد الله الحامد ، الشعر الإسلامي في صدر الإسلام ، الرياض ١٤٢٢هـ
- عز الدين المنصور، دراسات نقدية ونماذج حول بعض قضايا الشعر المعاصر ، مكتبة المعارف بيروت ١٤٠٥هـ.
- كعب بن مالك الديوان ، تحقيق سامي العاني مطبعة المعارف ، بغداد ١٣٨٦م.
- محمد محمد أبو موسى ، خصائص التركيب مكتبة الوهبة القاهرة ١٤٢٥.
- محمد محمد أبو موسى ، دلالات التركيب " دراسة بلاغية مكتبة الوهبة القاهرة ١٤٢٨هـ.
- د/ نـــازك الملائكة ، قضايا الشعر المعاصر ، ط٥ دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٨م.
- يحي الجبوري ، شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٨.

–